تعليم المتعلم

طريق التعلم

تأليف

برهان الإسلام الزرنوجي

(٥٧٠ - ٦٣٦ هـ)

دراسة وتحقيق

د. الحاج إمام عزالي سعيد، م.أ.

ماجستير في التاريخ والأدب العربي

خادم العلم بمعهد «النور» للطلاب

وونوچولو - سورابيا

ديانتاما

للنشر وتطوير التراث المعاهد الإسلامية

سورابيا - إندونيسيا

وتحقيق هذا الكتاب

. اقدّمه للمشايخ

ـا بالأخص من كتب

در الأمين العام

هذا الكتاب كما كان

، الابصار عبد الله

كتب التراث الأساسية

حسن الجزاء وجعلهم

لمساهمة في تجديد

ليه من الاهمال

ه، آملا الإفادة منه

ضة يجدّد بها المسلمون

كون اسهامي البسيط

سة عندما اشتركت

ية لرابطة المعاهد

مية مع مشايخ المعاهد

تربية والتعليم وقضاياها

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تصدير المحقق

الحمد لله الذى جعلنا من الطالبين. وأفهمنا من علوم العلماء الراسخين، والصلاة والسلام على سيدنا المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وأصحابه المجاهدين والتابعين وتابع التابعين الى يوم الدين.

وبعد، فان كتاب "تعليم المتعلم" للامام برهان الاسلام الزرنوجى المتوفى ٦٣٦ هـ يعتبر من كتب التراث المهمة عن التربية والتعليم، الذى مايزال الجيل المعاصر بحاجة ماسّة اليه. وذلك ليفهم جيلنا اليوم ماترك لنا سلفنا الصالح من الأراء والتجارب التى تعتمد على القوة الروحية المستمدة من فهمهم للقران الكريم والحديث النبوى ونصائح مشايخهم وتفاعلهم باليئة والحالة الاجتماعية والسياسية التى يعيشون فيها. فنستفيد منها وننتقى ونختار مايوافق العصر الحديث من نظرية التربية التى تمّ تطبيقها فى عصر قد مضى، ونحاول بالجهد المبذول اكتشاف النظرية الجديدة التى تتلائم بالتحديات والحالة الاجتماعية والسياسية التى تواجهنا اليوم والمستقبل. من هنا، نستطيع توثيق القديم والجديد تحقيقا بشعارنا اليومى "المحافظة بالقديم الصالح والأخذ بالجديد الاصلح".

لقد وفقنى الله بمنّه وكرمه الى دراسة وتحقيق هذا الكتاب الرائع الشائع فى معاهدنا الاسلامية باندونيسيا. اقدّمه للمشايخ والطلاب والمهتمين بموضوع التربية والتعليم، وبالأخص من كتب التراث. وكان للاخ العزيز الدكتور محمد على حيدر الأمين العام لرابطة المعاهد الاسلامية الفضل الاول فى اخراج هذا الكتاب كما كان للاخوين الكريمين الدكتور سعيد عقيل سراج واولى الابصار عبد الله الدور الكبير بتشجيعهما لاقوم بتحقيق ودراسة كتب التراث الأساسية المستخدمة فى المعاهد الاسلامية، جزاهم الله أحسن الجزاء وجعلهم مع النبيين والشهداء والصالحين. وذلك لأجل المساهمة فى تجديد ذلك التراث الذى مازال متواصلا رغم ماطرأ عليه من الاهمال والنقد والتشويه، والرغبات الحاقدة فى طمسه، آملا الإفادة منه فى العصر القمر الصناعى هذا، الذى تقوم فيه نهضة يجدّدها المسلمون صياغة نظريتهم فى التربية والتعليم. راجيا ان يكون اسهامي البسيط نافعا وخيرا لطلابنا وأبناء جنسنا.

ولقد شعرت بالحاجة الى مثل هذه الدراسة عندما اشتركت فى الندوات العلمية التى تعقدها الادارة المركزية لرابطة المعاهد الاسلامية. واجريت خلالها المناظرة غير رسمية مع مشايخ المعاهد الاسلامية والاصدقاء الخبراء المهتمين بأمور التربية والتعليم وقضاياها فى تلك المعاهد.

لذلك أقدم أجل شكرى وفائق احترامى كل من ساعد فى انجاز هذا العمل، وأخص بذلك الحبيب حسن بن أبوبكر السقاف صاحب الشركة ديانتاما وأسرة الطلبة لنهضة العلماء بجمهورية مصر العربية التى أمدتنى بصور مطبوعات الكتاب ومخطوطته والمراجع اللازمة التى لولاها لما تيسر اخراج الكتاب على الشكل الذى ظهر اليوم.

وأسأل الله مزيدا من الهمة والتوفيق لخدمة تراثنا الاسلامي ونشر كنوزه ونفائسه من جديد.

وونوچولو، ٦ شعبان ١٤١٨ هـ

٦ ديسمبر ١٩٩٧ م

المحقّق:

د. إمام غزالى سعيد، م أ

ماجستير فى التاريخ والأدب العربى

الدّراسة:

نظرة فى التربية الاسلامية

تميزت الشخصية الاسلامية فى جميع مجالات الحياة - كما يسجل لنا التاريخ - برؤيتها للكون بشموله والانسان بكلياته ومعالجة قضايا الحياة بأكملها. تؤثر هذه الرؤية "النظرية الاسلامية" فى التربية عما سواها من نظريات، ببواعثها واغراضها.

هذا، ليس عاطفا ذاتيا أو حماسا للاسلام، ولا تخيّلا لنظام غير قائم ولا اهما لا للاكتشافات التى انتجتها الحضارات الانسانية على مر الدهور من قيم تربوية، بل هو وصف لحقيقة قائمة تمت ممارستها وتطبيقها. وليست فعاليتها واثارها فى مسار الانسانية فحسب هى الدليل الوحيد على أهميتها وقيمتها، بل ربّانيتها وقوتها الروحية هى المؤشرة الواضحة على أن لها ميزات وتقدمات على غيرها. بل أن ربانيتها هى فى الحقيقة المؤشر الاول لمدى عمق الفكرة وشمول الاثر فى تكوين الشخصية الانسانية.

إن الايمان بكون الاسلام دينا ونظاما منزلا من عند الخالق الموجد هو ما يعطيه القيمة التى ترتفع - نسبيا - عن التأثر بالزمان والمكان ليتفاعل الانسان بها تناسُقا وترابُطا مع فطرته التى فطر الله عليها، يحقق بها هدف وجوده ويحدد آماله وتقريرات مصيره.

ومن هنا، كانت العبودية لله وحده فى حياة الانسان

كما حددها الاسلام على مستوى الفرد والجماعة والانسانية في جميع حالاتها وادوارها هي - في الحقيقة - هدف التربية الاسلامية النهائية .

انطلاقا من هذه الفكرة وتحقيقا لغايتها المثلى اقتضت التربية الاسلامية فروعا متعددة متنوعة لا تتجاوز الأسس الثلاثة التالية :

(ا) المحاكمة العقلية (ب) العبرة والتاريخ (جـ) الإثارة الوجدانية .

وتفضل هذه الاسس بالتركيز على قوى الانسان وملكاته كافة :

١- تنمية لجسمه، وحفظا لصحته، وهي مايسمى بالتربية البدنية والصحية .

٢- وتقويما للسانه واصلاحا لبيانه، وهي التربية الادبية .

٣- وتثقيفا لعقله، وتسديدا لتفكيره وأحكامه، وهي التربية العقلية

٤- وتزويدا له بالمعلومات النافعة للتعرف الحقائق الكونية، وهي التربية العلمية

٥- وترويضا له على وسائل الكسب لعيشه وهي التربية المهنية

٦- وايقاظا لشعوره بجمال الكون وطريق تعبيره وهي التربية الفنيّة

٧- وتعريفا له بحقوق المجتمع بما فيه من نظم وظواهر وهي التربية الاجتماعية

٨- ووصلا لشعوره بالاخوة العالمية وهي التربية الانسانية

٩- وتقوية لشعوره الوطني والقومي وهي التربية الوطنية

١٠- ثم تساميا بروحه الى الافق الاعلى وهي التربية الروحية [1]

وكل هذه الفروع التربوية في اتحاد متناسق الاجزاء من غير تجزئة لأنها تؤدي الى تكوين شخصية مترابطة الكيان في العملية التربوية المشتركة .

وعلى هذا فما كتبه سلفنا التربويون المسلمون، انما هو تعبير خاص لنظرية الاسلام التربوية تلاقوا في اساسيتها وتباينت أفكارهم في تفصيلاتها. وهذا امر طبيعي جدا فان الزمن يطوي ويطرأ على المجتمعات تطوّرٌ وتغيّرٌ فتختلف بالتالي في دقائق مناهج حياتها.

ولعلمائنا فيما كتبوه قديما في شتى كتبهم اسلوب طريف يخفف من وقع التكرار، فقد ألفوا المختصرات، ولخصوا المطولات ثم لخصوا الملخصات. وحدث ذلك - فيما أظن - قبل القرن الخامس الهجري. والواقع ان لهذا الاسلوب اسبابا عدة منها السلبي والايجابي . فالظروف التاريخية من تفكك سياسي ادى الى تشتت اجتماعي وفقدان الجهود والابداع الذي يضطر الى الاستنباط، ومن لجوء للتقليد احتراما للسلف واكبارا لما قالوه، ومن معرفة حديثة

(١) ثار الجدل حول التربية الروحية، فذهب بعضهم الى التعبير "التربية الدينية" وانا لم أقبل هذا التعبير، لان لفظ "الدين" ومفهومه له ذات شمولية اسلامية، ولا يمكن بالتالي بالمعنى الروحي، مع ان كل العناصر التربوية ينبغي ان يطبق في عملية موحدة .

باللغة العربية فى البلاد التى دخلها الدعوة الاسلامية مما يثقل على المتعلم قراءة المطولات، وكذلك التنوع الفجائى الموسع للعلوم التى يضطر المتعلم الى الاحاطة بمجملها. كل هذا ادى الى ضرورة مسايرة العصر وكتابة الملخصات"[1].

وهنا نكشف قيمة كتاب "تعليم المتعلم" فهو وان تضمن ذكر ماجرى البحث حوله فى كتب التربية المؤلفة قبله، الا انه اورد الجديد فيماله صلة بالوسائل التعلمية والتى لاتختص بالصبيان فقط بل تصلح لكل متعلم. واضافة الى ذلك فان الكتاب مختصر فى موضوعه، هو مارغب فى الاطلاع عليه والأخذ منه.

ولهذا يعد الكتاب "تعليم المتعلم" من أشهر المؤلفات الاسلامية فى موضوع التربية كما رأى بعض الدارسين المحدثين الى جانب كتاب القابسى القيروانى (المتوفى ٤٠٣ هـ) أهم كتابين فى التربية الاسلامية مما كتبه العلماء المسلمون قديما.

(١) وجدير بالذكر أن كتب التربية الاسلامية لها اصالة قليلة العدد، ولم تركز قضية التربية مباشرة، وذلك مثل "اقتضاء العلم والعمل" للبغدادى و"العالم والمتعلم" لابى حنيفة، و"جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر القرطبى، وباب من كتاب "الاحياء" للغزالى وباب من كتاب "ادب الدنيا والدين" للماوردى.

الحالة الإجتماعية والسياسية
فى عصر الإمام الزرنوجى

عاش الزرنوجى فى نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجرى، اوالقرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى. فى هذا العصر لم تكن للعالم الاسلامى الخلافة اوالامامة الموحدة. بل يكون العالم الاسلامى منقسما الى ثلاثة مملكات كبيرة، تصارع وتحارب بعضها ببعض.

المملكة الاولى هى تحت زمام السلطة الرمزية "العباسية" وعاصمتها بغداد، ولكن السلطة الفعلية كانت بيد السلاجقة التى اسسها طغرل بك (ت ١٠٦٣م) بعد القضاء على السلطة البويهية ودخل بغداد عام ١٠٥٥م وامتدت نفوذ سيطرتها من العراق والحجاز واليمن وفارس (اليوم: ايران) وبلاد ماوراء النهر (اذربيجان، قازخستان، ازباكستان تاجيكستان، سمرقند، بخارى، چسنيا، كانت تابعة للاتحاد السوفييتى، واليوم اصبحت الجمهوريات الاسلامية المستقلة) وافغانستان الى اسيا الصغرى (اليوم: تركيا). والمملكة الثانية كانت بيد السلطة الأيوبية التى اسسها صلاح الدين الايوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ/ ١١٣٨ - ١١٩٣م) بعد القضاء على الدولة الفاطمية بمصر عام ١١٧١م، فجعلت القاهرة ثم دمشق كمركز الادارة

وعاصمة دولتها. والمناطق التى كانت تحت سيطرتها هى مصر والشام وفلسطين ولبنان. والمملكة الثالثة كانت بيد السلطة المرابطين التى اسسها يحيى بن ابراهيم الجدالى (ت ١٠٥٦م) واشهر ملوكها يوسف بن تاشفين (١٠١٩- ١١٠٦م) والمناطق التى تحت سيطرتها هى المغرب، والجزائر وتونس وليبيا والسودان (شمال افريقيا) وقبرص والاندلس (اوروبا)، فجعلت مراكش ثم قرطبة كعاصمتها ومركزادارتها. ثم قضى على هذه المملكة الكبيرة وقام فى منزلتها لدّولة الموحدون التى اسسها المهدى بن تومرت.

هذه هى الحالة السياسية الداخلية فى العالم الاسلامى. فالوضع الداخلى الذى كان مسقط رأس الامام الزرنوجى تحت سيطرة السلاجقة فى حالة تمزق عنيف نتيجة صراع السلاجقة المتأخرين. وبالذات ابناء السلطان السلجوقى ملك شاه كاديد مرمارمه اوائلهم.

اما الحالة الخارجية فقد عانى العالم الاسلامى بالهجمات الغربية التى سميت بالحروب الصليبية. وقد تتابعت الحملات الصليبية على العالم الاسلامى بشكل متواصل حتى بدايات القرن السابع الهجرى رغم نجاح السلاجقة فى ردّ الهجوم الصليبى نسبيا - فقد وجد الصليبيون لانفسهم موطئ قدم فى هذه البلاد. ولم يفلح فى ازاحتهم عنه سوى السلطان صلاح الدين الأيوبى فى معركة الكبرى فى حطين لاستعادة بيت المقدس عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، ومن ثم طردهم

نهائيا على يد السلطان المملوكى قلاوون (حكم ٦٧٨- ٦٨٩ هـ) وابنه الملك الاشرف الخليل (٦٨٩- ٦٩٣ هـ).

ومن ناحية أخرى تعرض العالم الاسلامى الى ضربة عنيفة أخرى، أقوى من الصليبيين، وكانت على يد التتار وكان اثرهم فى التدمير كبيرا لدرجة انهم قضوا على كل مظهر حضارى. وقد بدأ غزوهم للعالم الاسلامى عام ٦١٧ هـ، بدءا من بلادهم على حدود الصين الى أطراف بلاد الشام، وبين هاتين المنطقتين دمّروا كل ماوجدوا فى طريقهم.

أما من ناحية الحضارى وتطور الفكر العلمى فقد تابع وقتئذ مسيرته وازدهرت ثقافته رغم كل الظروف الصعبة من الصراع الداخلى وتعدد المذاهب الكلامية والفقهية والفلسفية وكثرة الفرق السياسية. وقد قام السلاجقة بدورهام فى ايجاد وانبعاث نهضة علمية وثقافية، وذلك بانشاء المدارس والمؤسسات التعليمية والمعاهد الدينية فى العراق وفارس وبلاد ماوراء النهر. وقد كانت المدرسة النظامية فى بغداد ونيسابور انموذجا لتخريج العلماء والمثقفين الكبار. اما فى مصر فقد جرى النشاط العلمى بجامع الازهر الشريف رغم تغير التوجه المذهبى من الشيعة إلى السنة. اما فى المغرب وتونس مازالـ الجامعان: القرويون والزيتونة يجريان نشاطهما العلمى والثقافى.

تلك لمحة تاريخية عن الفترة التى عاش فيها الزرنوجى بازدهارها وكوارثها. ولاشك أن هذا التصادم الثقافى ؛ الحربى مع الصليبيين، والتدميرى مع المغول، أثار فى نفوس المسلمين وعيا للخطر الثقافى عليهم ورغبة فى التمسك بالأصول والعودة الى الأخذ بمناهج القديم. ومن هنا فان طيات "تعليم المتعلم" للزرنوجى لمحة من هذا التوجه الذى يعبر عن مشاركة المؤلف فى قضايا بيئته وعصره.

ترجمة حياة الإمام الزرنوجى

١ - إسمه

ان المراجع التى حصلتها وجمعتها لم تعط المعلومات الكافية لتصوير حياة الامام الزرنوجى كاملة، اللهم الا ما استطيع الاستنتاج من تلك المراجع الضئيلة. لقد اغفلت كتب التاريخ والطبقات والتراجم ذكر هذا الرجل الذى اعطى نتاجا من أهم وأوجز ما كتب فى الفكر التربوى والتعليمى الاسلامى فى عصره. فاختلف اسمه بين اللقبين: برهان الاسلام وبرهان الدين على اختلاف فى المراجع. وذلك - اعتمادا - على عادة العلماء والاعيان فى ذلك العصر التلقّب بالألقاب الدينية، تفاؤلا ورجاء بنشأة صاحبها بمظهر التديّن.

والزرنوجى هو نسبته الى مسقط رأسه "زرنوج"، وهى من الترك عند القرشى[1]، وبلد مشهور بما وراء النهر بعد خوجند من اعمال تركستان. عند الحموى[2] وماوراء نهر جيحون[3] بخراسان[4]، التى قال عنها الحموى، "من أنزه الاقاليم وأخصبها واكثرها خيرا"

---

(١) انظر، الجواهر المضيئة، ٢/٣١٢

(٢) انظر، معجم البلدان، ٤/٣٨٧

(٣) جيحون أو امودريا (Amau-Daria) نهر، طولها ٢،٥٤٠ كم هو اوكسوس القديم ينبعه من جبال پامير (الهند) يجتاز آسيا الروسية ويصبّ فى بحر أرال.

(٤) بلاد قديمة فى أسيا بين نهر امودريا شمالا وشرقا وجبال هندوكوش جنوبا ومناطق فارس غربا. امتدت احيانا الى بلاد الصغد (ماوراء النهر) والى سجستان جنوبا تتقاسمهما اليوم ايران الشرقية الشمالية (نيسابور) وافغانستان الشمالية (هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيستان الروسية (مرو).

وأول من فتح بلاد ما وراء النهر هو الوالى بخراسان قتيبة بن مسلم (ت ٩٦ هـ/ ٧١٥م) ففى نفس الوقت فتح أيضا بخارى وسمرقند[1] وقرغانة وماحولها.

ب - شخصيته

من خلال قراءة كتاب "تعليم المتعلم" بدقة استطيع استنتاج ملامح شخصية الإمام الزرنوجى. فهو فقيه حنفى متعصب نسبيا لمذهب الحنفى. وذلك ظاهر فى مصنفه الذى اورد الاستشهات والنصائح السامية، اغلبها من فقهاء الأحناف. ذكر الزرنوجى فى كتابه خمسة وسبعين عالما وخمسين منهم من فقهاء الأحناف، مع ان الكتاب لايمت بصلة إلى اى من مواضيع الفقه ولايتناول المذهب الامام أبى حنيفة بأية دراسة، وتظهر أيضا بتلميحه الى بعض كتب الأحناف المختصرة فى الفقه، التى رأى ان على الطالب حفظها فى بداية التعليم، بل أوجب تقطيع الورق للكتابة على ما كان يفعله الامام أبوحنيفة.

لذلك استطيع ان أاكّد هنا ان الامام الزرنوجى يهتم كثيرا ويميل الى نشر العلوم الفقهية فى العالم الاسلامى. عدا ميوله للفقه، فقد

(١) مدينة فى ازباكستان فى وسط آسيا خربها جنكزخان ١٢٢٩م ثم استولى عليها تيمورلنك وجعلها عاصمته وفيها قبره.

اعتبره المستشرق بلسنر Plessner بأنه فيلسوف عربى[1]. ولكنى لم اعرف على أى مرجع اعتمد ذلك المستشرق. اما ان يكون الزرنوجى عربيا فلا اساس له من الصحة، لان الزرنوجى ولد ونشأ فى منطقة غير عربية فهو ليس عربيا رغم تعمقه باللغة العربية والفارسية اللتين كانتا لغنى الحضارة الاسلامية حينذاك. كما انه ليس هناك مايدل على أن أصله من العرب الساكنين فى تلك المناطق. لذلك من الاجدر أن عرف أن الزرنوجى: هو عالم تربوى فقيه حنفى صاحب الكتاب الوحيد "تعليم المتعلم".

ففى نفس النسبة - يعنى الزرنوجى - عرف رجل اخر هو نعمان ابراهيم الزرنوجى (٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م) لغوى من أهل بخارى له "الموضح فى شرح مقامات الحريرى" فصاحب "تعليم المتعلم" يعاصر هذا الرجل بالاسم والتخصص المختلفان. وعمرهما لايتفارق مدة طويلة.

ج - شيوخه

أخذ الزرنوجى العلم عن عدد من علماء عصره المكثرين من التأليف فى الفقه واللغة والأدب يجمعهم ميول مشتركة هى المذهب الحنفى او الذين لهم سند من فقهاء الأحناف ومن بلاد ما وراء النهر. ان هذه الميول تترك بصماتها واضحة على منهج الزرنوجى فى كتابه

(١) الموسوعة الاسلامية للمستشرقين ١٠/ ٣٤٥

"تعليم المتعلم"

ان معلوماتنا الرئيسية فى التعرف على مشايخه هى كتابه وكتب التراجم والطبقات. فقد ذكر عددا من علماء الأحناف واورد أقوالا ومواقف تنسب اليهم، اما اشهر من اكثر النقل عنه فى عدة مواضع من الكتاب هو أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفى. لتكون مشايخ الزرنوجى واضحة، أكتب قائمة فقهاء الاحناف فى كتابه "تعليم المتعلم"، المرتبون بالترتيب التالى:

رقم	العلماء	المذهب	جهة الولادة والنشأة	عدد النصائح والمواقف
١	ابوحنيفة	مؤسس المذهب الحنفى	الكوفة - بغداد	١١ مرة
٢	المرغينانى	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	١٠ مرات
٣	محمد بن حسن	تلميذ أبى حنيفة	واسط - بغداد	٨ مرات
٤	أبو يوسف	تلميذ أبى حنيفة	بغداد - بغداد	٥ مرات
٥	حماد بن ابراهيم	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين
٦	الشيرازى	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين
٧	هلال بن يسار	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين
٨	قوام الدين	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين
٩	الهمذانى	فقيه المذهب الحنفى	بغداد - مرو	مرتين
١٠	الحلوانى	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين
١١	الصدر الشهيد	فقيه المذهب الحنفى	بلاد ماوراء النهر	مرتين

وذكر الزرنوجى ايضا اقوالا ومواقف فقهاء الاحناف وغيرهم فى كتابه أكثر من اربعين نصيحة، كل واحد منهم نصيحة واحدة، وأكثرها عددا الامام الشافعى (٣ نصائح).

من تلك المعلومات نعرف ان شيوخ الزرنوجى ينقسم الى قسمين، الشيوخ المباشرة والشيوخ غير المباشرة. فالاول هو من يتلقاهم الزرنوجى مباشرة، هم: المرغينانى (ت ٥٩٣ هـ) والشيرازى، وحماد بن ابراهيم وغيرهم. فالثانى من يحبه نصائحهم عن طريق شيوخه المباشرة.

د - مؤلفاته

عرف برهان الاسلام الزرنوجى بأنه مؤلف كتاب "تعليم المتعلم"، ولم يشتهر كتابه بنسبته اليه عكس كثير من المصنفين فقد ترجم غير واحد بانه .. مصنف كتاب تعليم المتعلم[1]. هذا دليل واضح على شهرة محتوى الكتاب واهميته مع قلة المعلومات عن صاحبه.

اضافة الى ذلك نستطيع للتأكيد أن هذا الكتاب هو المصنّف الوحيد الذى كتبه الزرنوجى ولم يكن له نتاج علمى اخر، لا فى التّربية ولا فى الفقه. لأن جميع ماحكى عنه اكتفى بذكر هذا الكتاب فقط.

(١) الجواهر المضيئة ٢/ ٣٦٤. الفوائد البهية ٥٤ والموسوعة العربية الميسرة، ٩٢٣

لكن ماكتبه المستشرق بلسنر فى الموسوعة الاسلامية[1] من ان كتاب تعليم المتعلم، هو الكتاب الوحيد الذى بقى من مؤلفات الزرنوجى، يحمل فى ضمنه التأكيد بأن له كتب أخرى وانها ضاعت واندثرت. هذا احتمال معقول لان الغزو التتار او المغول الذى حدث فى بداية القرن السابع الهجرى او آخر ايام الزرنوجى، ربما يكون قد اباد كتبا له من جملة ما اباد ودمره لكن هذا مجرد الظن.

هـ - التحرى عن ميلاد ووفاة الزرنوجى

المراجع المتوفرة لدينا لم تعط المعلومات عن سنتى ولادة ووفاة الزرنوجى مما يصعب لنا تعيين سنة ولادته ووفاته. ولم تنقل لنا ايضا ما يفيد عن السنوات التى ألف خلالها كتابه المشهور، لكن الدراسة الحديثة عن الزرنوجى ذكرت انه توفى حوالى سنة ٥٩٧ هـ[2] دون دليل مقنع او اكتفى بانه عاش فى القرن السادس الهجرى دون تحديد.

بعد ما قرأنا كتابه بدقة وتحرّينا ترجمة حياة شيوخه تولد لدينا شك فى صحة من نقل او قدر سنة وفاته المذكورة. وغلب على ظننا ان وفاته تأخرت بكثير الى ما بعد ذلك، بدليل ان بعض مشايخه الذين ذكرهم فى الكتاب توفوا فى نهاية القرن السادس

(١) الموسوعة الاسلامية للمستشرفين، ١٠/ ٣٤٥
(٢) انظر «التربية فى الاسلام» ص ٢٣٩، التعليم عند الزرنوجى، ص ٩٢٢

الهجرى، ومن البديهيات أنه تلقى العلوم فى سن الشاب مع كبر سنهم، وذلك نرجح انه عاش منتصف القرن السابع الهجرى.

ثم قرأنا ما كتبه بلسنر فى الموسوعة الاسلامية، فأكد على تأخر وفاته عما ذكر دون التعيين، ويرجح انه قد ألّف الكتاب بعد عام ٥٩٣ هـ[1]، وذلك بناء على الفرق الطبيعى بين المتعلم ومشايخه. وذكر الورت ان الزرنوجى قد اشتهر اسمه سنة ٦٢٠ هـ[2]/ ١٢٢٣ م، ثم وجدنا ما يؤيد ذلك فيما كتبه القرشى فى «الجواهر» من ان الزرنوجى فى طبقة النعمان بن ابراهيم الزرنوجى المتوفى ٦٤٠ هـ فان لم يكن الزرنوجى قد توفى فى نفس العام - مع احتمال حدوثه - فقد توفى قريبا منه لانه عاصر النعمان وعاش فى نفس الجيل،

وحاصل ذلك نستطيع التأكيد ان الزرنوجى ولد حوالى عام ٥٧٠ هـ وتوفى ٦٢٦ هـ بمعنى أنه قد عاش بين الربع الاخير من القرن السادس إلى الثلث الاول من القرن السابع الهجرى. وهذا التحديد يعنينا - دون اهمال - للحرص على صحة نقل كل ما يمس الزرنوجى من معلومات.

(١) ذهب فيليب حتى فى تاريخ العرب ان الكتاب الف عام ٦٠٠ هـ، انظر، ص ٢/ ٤٩٧
(٢) الموسوعة الاسلامية ١٠/ ٣٤٥

أهمية الكتاب

اشتهر هذا الكتاب، نتيجة ندارة الكتب عن التربية والتعليم قديما. فقد عرف كتاب «تعليم المتعلم» واشتهر فى الافاق واهتمت به الاوساط العلمية قديما وحديثا منذ ظهوره حتى عصرنا المعاصر.

كتب محي الدين القرشي (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) فى كتابه ان كتاب تعليم المتعلم هو كتاب نفيس مفيد[١]. ثم قام الشيخ ابراهيم بن اسماعيل عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م بشرح هذا الكتاب وقدمه للسلطان العثمانى مراد الثالث (حكم ٩٨٢ - ١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤ - ١٥٩٥م) وقد طبع بالقاهرة ١٣١١. ويقول اللكنوى الهندى (ت ١٣٠٤/ ١٨٨٧م) فى كتابه «طالعت كتاب تعليم المتعلم، وهو كتاب قليل الحجم كثير المنافع. هو نفيس مفيد[٢]» ويقول حاجى خليفة «كتاب تعليم المتعلم، هو نفيس جدا[٣]»

وكنتيجة لهذه القيمة فقد جرى الاهتمام بطبعه ونشره فى العديد من البلدان. فطبع فى الهند (١٢٦٥هـ/ ١٨٥٢م)، وطبع فى قازان (١٨٩٨م) ثم طبع فى تونس (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، كما طبع فى استانة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) ثم طبع فى مصر (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) وطبع فى اندونسيا

(١) الجواهر، ٢/ ٣٦٤
(٢) الفوائد، ٥٤
(٣) كشف الظنون، ٤٢٥

حوالى القرن التاسع عشر، لكن مالدينا المعلومات الكافية عن الطباعات الاندونسية.

كما قام الدكتور سيد عثمان بمناقشة اراء الزرنوجى التربوية سنة ١٩٧٧، بربط تلك الاراء بنظرية التربوية الحديثة. واهتم المستشرقون بالكتاب، فقد كان معروفا لديهم لانه ترجم الى اللاتينية، فطبع فى المانيا ١٧٠٩م وطبع فى بريطانيا ١٨٣٨م وترجم هذا الكباب الى اللغة الفرنسية ١٩٣٨م. وترجم الى اللغة الانجليزية ١٩٤٠م. وقد ترجم اشعار الكتاب الى اللغة الجاوية، وضعها بعض التلاميذ فسانترين ليربايا كديرى، وترجم أيضا الى اللغة التركية، وضعها الشيخ عبدالمجيد.

عملى فى هذا الكتاب

اعتمد فى تحقيق هذا الكتاب على كتابين مطبوعين: الاول الطباعة الاندونسية (شركة بوغكول انداه سورابيا) والثانى الطباعة العربية (المكتب الاسلامى، بيروت) والمخطوطة الوحيدة المصورة التى حصلتها من قبل الاخوة أسرة الطلبة لنهضة العلماء بجمهورية مصر العربية، وأصلها من مكتبة الاستاذ زهير الشاويس ضمن مجموع يحوى عدة كتب فى موضوع التعليم تحت رقم: ٢٨٤١

وجدت النسخ الثلاثة يختلف بعضها ببعض، لذلك اقوم بالاعمال التالية:

اولا، قابلت وقارنت النسخ الثلاثة ثم حققت الالفاظ والعبارات الموافقة للسياق دون الشطب النسخة الاصلية (الطباعة الاندونسية من شركة بوغكول انداه) وكتبت التعليق والملاحظة الوجيزة في الهامش باستخدام علامة الترقيم

ثانيا، تصحيح الاخطاء الاملائية والاعرابية، وما كان له وجه صحيح ابقيناه كماهو، ولكني لم اتطرق بحثة عن التراكيب والمصطلحات النحوية

ثالثا، توضيح المفردات الصعبة، واستفدت من القواميس والمعاجم المتداولة، قد يكون هذا التوضيح مختصرا ومطولا حسب المصالح الضرورية.

رابعا، اقوم بشرح بعض الأشعار الذى اعتبره صعبا بالنسبة للتلاميذ

خامسا، اقوم بملاحظة بعض محتوى الكتاب الذى لا يتناسب بالنظرية التربوية الحدثية.

سادسا، قمت بتخريج الاحاديث النبوية بالاشارة الى مصادرها ودرجة صحتها وضعيفها وموضوعها، وابيات الشعر بردّ بعضها إلى قائلها، كما حاولنا تصحيح ما كان فيها من خطأ.

سابعا، قمت بتصحيح بعض اسماء الاعلام الواردة في النص، وترجمت للاعلام بشكل بسيط، كما قمت بتوضيح المناطق الجغرافية التى لها علاقة بالاعلام الواردة في النص، واستفدت من

كتب التراجم والطبقات.

ثامنا، كتبت الدراسة الاولية، عن الخلفية السياسية والاجتماعية بالعالم الاسلامى وترجمة حياة الامام الزرنوجى ومكانة كتابه تحت الاوساط العلمية قديما وحديثا، ونظرة عامة عن التربية الاسلامية.

هذا، سيكون هذا الكتاب بمشيئة الله عز وجل مشجعا ودافعا قويا للطلاب أن يستزيدوا التطورات التاريخية والمعلومات العلمية والسياسية منذ عصر الامام الزرنوجى (القرن السادس والسابع الهجرى) الى يومنا المعاصر.

ومن هذا يتضح أن هدفى من تحقيق هذا الكتاب الرائع هو نشره تحت اوساط الطلاب بالمعاهد الاسلامية بالنظرة الانتقادية البنّاءة وارجو من السادة مشايخ المعاهد والعلماء والطلاب الذين يجدون الاخطاء المشوسة ان يوجهوا نقدا بناء ويتصلوا بالناشر والمحقق لاصلاحها وتصحيحها في النشر والطبعة القادمة إن شاء الله. أرجو أن يكون عملى هذا مساهمة في بعث التراث التربوى والتعليمى الاسلامى الذى يشكل الجذور الحضارية للتعلم والتعليم في العصر الحديث.

حقق الله امالنا ووفقنا لخدمة كتب التراث الاسلامية لعز الاسلام والمسلمين في مواجهة الحضارة الخارجية المدمرة. وان اخلص اعمالى لوجهه العظيم. ٨